ندوة ضرب العراق والشرعية الدولية

السفير الدكتور/ عبد الله الأشعل

مساعد وزير الخارجية للتخطيط السياسي الأسبق

هـناك تقديرات يجمع عليها المحللون على أن الولايات المتحدة الأمريكـية قد حسمت أمرها وقررت أن تعتدي على العراق، ولكنى اعـتقد أن هناك محاذير كثيرة بالنسبة لهذا القرار، وأحد هذه المحاذير يجـب أن يكـون هـو الموقف العربي والإسلامي، فلا يزال أمامنا الكثـير، ولذلـك فإن نداء من هذا التجمع يمكن أن يكون على الأقل تسـجيلا لموقـف يمكـن أن يتم الحساب عليه بعد ذلك إذا ما تقرر العدوان فعلاً، ذلك أننا نتعرض ليس فقط لفتنة عالمية، ولكننا نتعرض فـي هذه المنطقة إلى مؤامرة مرسومة، وهذه المؤامرة تتضح من أن العـراق الـذي كـان سببا في جميع المصائب التي نزلت على هذه المـنطقة مـنذ عـام ١٩٧٧ وحـتى الآن، وتصدى لأن يكون رأساً صناعية للعالم العربي بديلا عن الرأس الطبيعية وهى مصر، ثم أريد له أن يكون رأس حربة لقمع الثورة الإسلامية في إيران، وأخيراً جاء الـدور عليه فقذف به إلى ساحة القتال في الكويت، وأجهز عليه بعد ذلـك مـنذ عام ١٩٩١م وحتى هذه اللحظة ثم أريد له مرة رابعة أن

يكــون بوابة التغيير في هذه المنطقة جميعا وأن يكون عنوان الخراب لها لقرون قادمة وليس لعقود.

لا أقول ذلك لكى أحمل العراق وأحاسبه على ما فعل لكنى أذكر بــأن هذا الفعل هو من فعل يديه، وأن المنطقة كلها تعانى بسبب رجل واحد فعل الكثير من أجل الإضرار بهذه الأمة حتى أبدد وهما يتخيله الكثــيرون بأنــه يتحلى براية الإسلام أو العروبة أو غيرها، فإن من يــتدثر بالإســلام أو العروبة لا يمكن أن يتسبب في الإضرار بها إلى الحــد الــذي أتصور أنه سيكون حجمه كمثل الذي تعرض لها العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر، فنحن نشهد الآن نقلة ضخمة جدا فــي تــاريخ العلاقــات الدولــية، وهذه النقلة سيكون ضحيتها العالم الإسلامي والعربي ما لم يكن لنا قول وفعل فيما نتعرض له.

فيما يتعلق بالقضية الحالية نعلم جميعا أن مجلس الأمن قد اتخذ عــدداً كبيراً من القرارات عام ١٩٩٠، ١٩٩١، وكان آخر القرارات رقــم ٦٧٨، وهذا القرار في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠م، وحذر العراق من أنه إذا لم ينسحب طوعا فإنه سيرغمه على الانسحاب بجميع الوسائل الممكــنة، وكان القرار ينص على أن الوسائل الممكنة تشمل استخدام القوة المسلحة، ولم يستمع الرئيس العراقي للنصائح، وأخيرا وفي ليلة ١٦ يــناير ١٩٩١ كان هناك تحالف دولى عسكري، وبصرف النظر عن تكييفه القانوني وفقا لميثاق الأمم المتحدة، وقد رأينا أن هذا العمل كان عملا مشروعا وفقا لميثاق الأمم المتحدة في هذا الوقت نظرا لأن

العـراق كـان يحتل الكويت ويرفض الانسحاب، بل إنه ضمها لـه ورفـض أن يكـون هناك كويت أصلاً، ولذلك كان لابد وأن تتعرض لـه قـوة، هذه القوة لم تكن القوة العربية والإسلامية، فاستعنا بالقوة الأجنبـية وكان طبيعيا أن القوة الأجنبية ستخرج العراق من الكويت، ولكـنها سـتقرر الثمن الذي ستتقاضاه منا، وكان الثمن هو هذا الذي فـرض علـى المنطقة منذ ١٩٩١ وتداعياته التي نشهد فصولها الآن وفي الفترة الأخيرة.

حدث بعد ذلك أن العراق تعرض لأكبر عملية تقليص في تاريخ الأمـم لسـيادته، وأصبح تقريبا يخضع لوصاية دولية، وهى وصاية مجلس الأمن وهى وصاية أمريكية من خلال مجلس الأمن، وتعرض العـراق لضـرب متـتالى وكان آخره ١٩٩٨ عندما طرد المفتشين الدوليين، وفي نهاية المطاف فإن مجلس الأمن قد أصدر قرارا في ٨ نوفمبر ٢٠٠٢م وهو القرار رقم ١٤٤١، وقرر فيه كثيراً من الأحكام التـي تـتجاوز اختصاصات مجلس الأمن وفقا لميثاق الأمم المتحدة، ولكـن لأن العـالم يتساءل متى يضرب العراق؟ ولم يتساءل وما هو دخل الولايات المتحدة في ذلك كله؟

الحقـيقة أن الولايـات المتحدة لا علاقة لها بالموضوع ولكنها دسـت أنفهـا فهـى تريد أن تنزع أسلحة الدمار الشامل، وقد سجلت إخفاقهـا الشديد في سياسات نزع أسلحة الدمار الشامل في العالم كله بـل إنهـا شـجعت علـى انتشار أسلحة الدمار الشامل لأن السياسة

الأمريكـية في هذا المجال لا تحس بالمسئولية وإنها لتكيل فعلا بأكثر من مكيال وأن ذلك قد أفقدها مصداقيتها بين الدول التي تريد أن تكون دولاً نوويـة ويكفـي أن ننظر فقط إلى الهند وباكستان عندما فرضت علـى باكسـتان بعض العقوبات بعد التجربة النووية الأخيرة، وأخيراً عـندما جـاء الـدور على أفغانستان فإن أمريكا قد تناست تماما هذا مادامـت باكستان والهند قد قدمتا يد العون للجهد العسكري الأمريكي في أفغانستان.

وكذلـك نـرى إسرائيل وهى تتسلح بكل أسلحة الدمار الشامل وتـتزود بكـل ما تشاء من الترسانة الأمريكية وغيرها، ومع ذلك لم يـنطق أحـد إلا مصـر، وقد أوتيت الشجاعة لتقول وسط هذا الجو المشـحون الكلمـة الحـق، وهو أنه إذا كان العراق خطراً بأسلحته الموهومـة، فـإن إسرائيل بأسلحتها المؤكدة أكبر خطراً، وهذا القرار الـذي يـتحدث عن نزع أسلحة العراق قد قرر أن هذا النزع سيكون الخطوة الأولى لنزع أسلحة الدمار الشامل من الشرق الأوسط، وكان المفهـوم من هذه الفقرة أن إسرائيل هى المقصودة، ثم عندما أبرمت اتفاقـية مـنع إجراء التجارب النووية ١٩٩٠ كان هناك ضمانات من الـدول النووية وأولها الولايات المتحدة بأنها ستضمن أمن الدول غير الـنووية، وأنها ستعمل على تخفيض التسلح النووى في الدول النووية إلـى الحـد الذي لا يهدد السلام العالمي أو البيئة الدولية وهذا التعهد خرجت عليه الولايات المتحدة حينما تهدد العراق الآن بضربه بأسلحة

نووية، ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة في الواقع قد قدمت مثلاً سيئاً لإدارة قضـية من أصعب القضايا وأخطرها على الأمن الدولى، وهى قضـية انتشار أسلحة الدمار الشامل، وهذا التصرف الأمريكي سواء ضـرب العـراق أو لم يضرب سوف يشجع الدول جميعا على درس واحد مرير وهو أن الحفاظ على أمنها وسيادتها لا يمكن أن يتحقق إلا بامتلاك أسلحة الدمار الشامل.

ومعـنى ذلـك أن انـتهاك الولايات المتحدة الأمريكية لاتفاقية الحظر الجزئي والتي أصبحت اتفاقية أبدية هذا الانتهاك سوف يشجع الدول الأخرى على الخروج على هذه الاتفاقية، لأن العالم بحاجة الآن إلـى أن يراجع موقفه ليس فقط بسبب العراق، وإنما بمناسبة العراق، لأن هـناك دولـة عظمى وحيدة تقف على قمة النظام الدولى، وكان يجب أن تكون قوتها سندا للشرعية الدولية والعدالة، فإذا بها تتصرف تصـرفا يخرج كثيراً عن التبعات والمسئوليات الملقاة عليها سواء في داخـل مجلس الأمن، أو في خارج الأمم المتحدة، وأن ما يحدث الآن إن صـح وإن وقـع، واعـتقد أن الولايات المتحدة مع هذه الحشود العسكرية والمليارات التي أنفقت إلا أنها لن تهاجم العراق على المدى القريـب، لأن الحسـابات السياسية والبشرية يتخللها حسابات أخرى إلهـية فـأول هذه الحسابات قد تكون التصاعد في الأزمة بين كوريا الشـمالية والولايـات المتحدة، وهذه لا يجوز التقليل من شأنها، لأن كوريـا الشـمالية تحوطهـا أربـع دول هامة، وهى كوريا الجنوبية

والصـــين وروســـيا واليابان، وهذه الدول سوف تسعد كثيرا لو حدثت مواجهـــة نووية بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة، لأن اليابان لم تـــنس مطلقـــا أن هيروشـــيما ونجازاكي قد دمرتا، وهى مدن مدنية، وليســـت مواقع عسكرية، فمعنى ذلك أن الولايات المتحدة أرادت أن تســـجل في نهاية الحرب أنها الدولة العظمى الوحيدة، وأن لها الهيمنة الكاملة على بقاع الأرض المختلفة، ولم يكن الهدف هو إرغام اليابان على الاستسلام كما أشيع، ولكن السبب يتعلق بالدور العالمي للولايات المتحدة، والذي أرادته منذ الحرب العالمية الأولى.

هـــناك أيضـــاً روســـيا التـــي لم تنس مطلقاً أن أمريكا حطمت الشـــيوعية، ووعدتها بجنة موهومة، فإذا هى تقع في هوة فسيحة بين الشـــيوعية القديمـــة وبين الجنة الموهومة، فروسيا الأن تخوض في أوحال من الفقر والذل والهوان بسبب أمريكا وسياساتها.

هـــناك أيضـــا كوريا الجنوبية التي لم تنس مطلقا أنها تعرضت للكثير بسبب أمريكا صحيح هناك قدرات اقتصادية هائلة، لكن ذلك لم يشـــبع نهـــم الشـــعب الكوري في أن الدولة في الشمال والجنوب أمة واحـــدة، وأن أمريكا هى التي قسمتها إلى شمالية وجنوبية، وظروف الحرب الباردة التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية.

هناك أيضاً الصين التي تنظر بخبث شديد إلى ما يحدث حولها، وتـــدرك أن اقـــتراب الولايـــات المـــتحدة من حدودها بعد أن دخلت أفغانســـتان ســـوف يكـــون وبالا عليها، وهى تريد أن تكون الولايات

المتحدة فيتنام أخرى، ونحن نعلم أن الصين قد دفعت بمليون متطوع في حرب فيتنام حتى جعلت فيتنام هى آخر الأحزان بالنسبة لأمريكا في ذلك الوقت.

إذن هناك دول تتربص وتترقب لأمريكا، وهناك أيضاً حلفاء ينظرون للسلوك الأمريكي بكثير من القلق، ذلك أن القرار الدولى الآن أصبح في يد الولايات المتحدة وحدها، فما بالنا بالمبدأ الجديد الذي قدمه الرئيس بوش، وهو ما يسمى بالضربة الوقائية، وهى تختلف عن الضربة الوقائية المعروفة في القانون الدولى، وهى أن الدفاع الشرعي الوقائي ينبع من حقيقة واحدة، وهى احتمال الهجوم على دولة وهذه الدولة يمكن أن تبادر بصد الهجوم إذا تأكد لها أن الهجوم محقق ولكن منهج الرئيس بوش يختلف عن ذلك، فهو يريد أن يهاجم دولا لا تبادر بالعدوان، ويريد أن يطبق هذا المنهج في العراق كتجربة أولى، واعتقد أن هذا المنهج يناقض تماما مبادئ القانون الدولى المعروفة، كما أنه يسعى للقضاء على ما حققته البشرية خلال أربعة قرون على الأقل، حيث إن مبادئ العلاقات الدولية الآن توشك أن تتحطم وأن تدمر، وأن يحل محلها معيار واحد وهو القوة الخرقاء.

لذلك نحن نتحدث الآن عن القيم ولا نتحدث عن الحقوق في العراق نتحدث عن حماية الإنسانية والبشرية مما يتهددها من السلوك الأمريكي فقد أصبح السلوك الأمريكي فعلا خطرا على البشرية، وأتصور أن تحالفاً يجب أن ينشأ بين دول العالم وبين الشعب

الأمريكـــي حـــتى يرد حكومته إلى جادة الصواب، فإن الانتهاك الذي حـــدث في الدستور الأمريكي وتوحشت السلطة التنفيذية على حساب السلطة التشريعية والقضائية قد أدى إلى إرباك العالم كله، ولذلك فإن الحـــل لـــيس في مواجهة الولايات المتحدة عسكرياً، وإنما في صدها سياسيا ونصحها معنوياً، وكذلك إثارة الشعب الأمريكي حتى يمكن أن يعيد الأمور إلى نصابها وفقاً لدستوره، فإذا استقام الدستور الأمريكي استقامت حالة العالم كله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته